القناع وتمثلات الحضور والغياب

قصيدة (الحسين يكتب قصيدته الأخيرة) لرشدي العامل أنموذجا

أ.م.د علي حسين يوسف

المديرية العامة لتربية كربلاء

ملخص البحث

هذا البحث دراسة في كيفية توظيف القناع ليكون ذاتا ناطقة باسم الموضوع المُتناوَل ، فقد استخدم القناع في هذه القصيدة الملحمية التي اختيرت للتطبيق لينطق على لسان حال الحسين على الرغم من معرفتنا أن الشاعر هو الذي أجراه بهذه الطريقة ليكون النص من هذه الجهة معبِّرا عن ذاته هو وربما معبرا عن الثائرين جميعا في الأزمان كلها .

ورشدي العامل شاعر عراقي ، كتب قصيدته : (الحسين يكتب قصيدته الأخيرة) ليثبت من خلالها أن الذات الشاعرة ممكن لها أن تتماهى مع الموضوع التي تتناوله ، وفي ذلك مسعى يُحمد للشاعر فما يحققه من طاقات تعبيرية وجمالية أمر لا يمكن اخفاءه بغض النظر عن الدوافع الأخرى التي تدفع الشعراء للتقنع كالإعجاب بالشخصية وبالأهداف والمثل التي كان يحملها وضحى من أجلها ، وقد قسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث تناولت الأفكار والرؤى الواردة في القصيدة .

وكان في نية الباحث أن يلحق ببحثه هذا نصّ القصيدة المدروسة لكن عدد صفحاتها في الأعمال الكاملة المطبوعة حال دون ذلك ، فقد يخرج البحث عن الحجم المطلوب .

Research Summary

This research is a study on how to employ the mask to be a self-speaking subject in the name of the subject being addressed. The mask was used in this epic poem that was chosen for application to speak on the tongue of Al-Hussain, although we know that the poet is the one who made it in this way so that the text from this side .expresses itself, and perhaps he Expressing all the revolutionaries in all times

Rushdi Al-Amel is an Iraqi poet. He wrote his poem: (Al-Hussein writes his last poem) to prove that the poetic self can identify with the subject it deals with. Poets push persuasion, such as admiration for the personality, goals and ideals that he carried and sacrificed for. The research was divided into a preface and three sections .that dealt with the ideas and visions contained in the poem

The researcher intended to add to his research the text of the poem being studied, but its length in the complete printed works prevented this, as the number of pages it .takes may result in the search for the required size

المقدمة

تأتي أهمية القناع في المضمار الإبداعي من الامكانات التخييلية التي يتيحها للمبدع حينما يكون الوسيلة الناجعة التي من خلالها ــ فقط ــ يمكن أن يتوحد صوت الابداع والموضوع في بودقة واحدة حتى لتبدو القصيدة عالم قائم بذاته يخيل للمتلقي أن لا علاقة بينها وبين مبدعها بل قد يذهب الظن به أن المحكي عنه هو الذي يتكلم وليس الشاعر ، وهنا تتجلى الأهمية الأساسية للتقنع .

ونظرا لأهمية ما تقدم ارتأى الباحث أن يكون بحثه هذا في موضوعة القناع مختارا قصيدة (الحسين يكتب قصيدته الأخيرة) للشاعر العراقي رشدي العامل لتكون اجراء تطبيقيا على الرغم من علمنا أن للقناع مجالات تطبيقية كثيرة لكننا وجدناه في هذه القصيدة المختارة أكثر حضورا إلى الحد الذي يمكن القول معه أنها (قصيدة قناع) بامتياز .

وتبعا لطبيعة المادة المدروسة قسم البحث على ثلاثة مباحث سبقهما تمهيد واعقبتهما خاتمة ، كان التمهيد في فقرتين : الشاعر ، والقناع .

فيما قام المبحث الأول على تقصي حضور الأنا في النص المدرس ، وقام المبحث الثاني على حضور الآخر وتمثلاته ، فيما قام المبحث الثالث على استشراف المستقبل من خلال القناع ، وقد اعتمد الباحث المنهج التفكيكي في دراسة المادة إذ أن غاية البحث تقصي حالات الحضور وحالات الغياب ، وهذه من المقولات الأساسية في النقد التفكيكي مع الإفادة من المناهج البحثية الأخرى .

يأمل الباحث أن يكون ممن يشملهم التوفيق الإلهي في مسعاه هذا فليس للإنسان مسددا غير الله ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

التمهيد : الشاعر والقناع

أولا : رشدي العامل

رشدي العامل هو : الشاعر العراقي رشدي أحمد جواد المولود في مدينة عانة من محافظة الرمادي ١٩٣٤، والمتوفي في سوريا ١٩٨٩ ، درس في مدارس مدينته ، تخرج في كلية الآداب ــ جامعة بغداد سنة ١٩٦٢ ، عمل في الصحافة ، وأشرف على صفحات أدبية في مجلات وصحف عدة ، منها صحيفتي المستقبل وصوت الأحرار، ونال عضوية اتحاد الأدباء في العراق سنة ١٩٥٩ ، كتبت عنه دراسة ماجستير ، فضلا على عدد من الدراسات والمقالات لأكثر من ناقد وكاتب ، وقد كتب رشدي العامل عددا من الدواوين ، منها : همسات عشتروت ، صدر سنة ١٩٥١، وأغان بلا دموع ، صدر سنة ١٩٥٦، وعيون بغداد والمطر ، صدر سنة ١٩٦١، وللكلمات أبواب وأشرعة ، صدر سنة ١٩٧١، وأنتم أولا ، وهجرة الألوان ، صدر سنة

١٩٨٣، وحديقة علي ، صدر سنة ١٩٨٦ ، وقد طبعت دار المدى في بغداد هذه الدواوين جميعها في مجلد واحد بعنوان : الأعمال الشعرية الكاملة ، صدرت سنة ٢٠١٠ [١] .

وما ينماز به شعر رشدي العامل من الناحية الموضوعية وضوح اللغة والأفكار وقرب المعاني فلا نجد في شعره تعقيدا أو التواءً او تعسفا في تناول القضايا التي شغلته فيمكن للقارئ أن يتلقى ((أشعاره بيسر وسهولة ودونما كد للذهن وشحذ للفكر))[٢] ، أما من الناحية الفنية فإن شعر العامل انماز بلغته السلسلة من خلال اعتماده على البلاغة المفهومة فهو لا يؤمن بما يسمى الشعر المحض بحسب تسمية محمد الجزائري [٣] ، فالشعر عنده لا بد أن يندغم بالواقع الحياتي للناس .

ثانيا : القناع

القناع في اللغة من الفعل (قنع) بمعنى ، الغطاء ، يقال : وقد تقنعت به وقنعت رأسها ، وقنعتها : ألبستها القناع [٤].

والقناع في الاصطلاح الأدبي هو : الاسم أو الصوت الّذي يتحدث الأديب من خلاله ، متجردا من ذاتيته ، فالشاعر يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته ، والقصيدة في مثل هذه الحالة تعدُّ عالما مستقلا عن الشاعر، وإنْ كان هو ناظمها [٥] ، وهنا يمكن أن نستخرج الوظيفة الأساسية للقناع فهو ((رمز يأخذ شكل الشخصية التاريخية غالبا التي تنجز حديثها بضمير المتكلم))[٦] .

ولم يقتصر توظيف القناع على الأدب أو الشعر فقط فقد استخدم القناع منذ القدم في مجالات متعددة ، فقد كان المتعبدون في الطقوس الديونيوسية يلطخون وجوههم بأوراق الكرمة وغيرها [٧] .

لذلك تعددت أنواع الأقنعة بحسب المجال المستخدم فيه وبحسب الغاية من استخدامه ، فهناك القناع الأسطوري الضارب في أعماق التاريخ الإنساني ، وهناك القناع الخرافي المستل من التراث الشعبي ، وهناك القناع الديني الذي يعود بأصله إلى الديانات السماوية الثّلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهناك ــ أيضا ــ التاريخي الذي يتفرع إلى أدبي وحربي وسياسي ، وفي عصرنا هذا ظهر ما يسمى بالقناع المبتدع الذي اجتهد الشاعر العربي الحديث في نحت كيانه وتشكيل ملامحه بنفسه ، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأقنعة ما فعله الشاعر العراقي سعدي يوسف لَما اخترع شخصية الأخضر بن يوسف وما صنعه الشاعر السّوري أدونيس عندما خلق شخصيّةَ مهيار الدمشقي[٨] ..

---

[١] ينظر في ترجمة الشاعر : معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، وأعلام العراق الحديث ، و تتمة الاعلام للزركلي ، ورشدي العامل: الرومانسية تتسربل برداء الحداثة ، فاضل ثامر ، شبكة الانترنيت ، ورشدي العامل شاعر رومانسي من عصر الحداثة ، والشاعر رشدي العامل في الذكرى العشرين لرحيله .

[٢] الصوت الآخر ، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي : ٢٩٧.

[٣] ينظر ، ويكون التجاوز ، دراسات نقدية معاصرة في الشعر الحديث : ١٩ .

[٤] ينظر ، لسان العرب ، مادة قنع .

[٥] تجربتي الشّعريّة : ٤٠

[٦] بنيةُ القناع ، مجلّة علامات، جزء ٢٥، مجلّد ٧، سبتمبر ١٩٩٧، و ١.والمعجم المفصل في الأدب : ٢/ ٧١٥، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٢٩٧.

[٧] ينظر ، قصيدة القناع عند الشاعر المصري أمل دنقل مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها : ١٠٧. والقناع في الشعر العربي المعاصر : ٢٤ ، ومعجم مصطلحات الأدب ٤٣٢ .

[٨] القناعُ في الشّعر العربيّ الحديث شبكة الأنترنت .

وغالبا ما يتمثل القناع في شخصية من الشخصيات التي تنطق القصيدة صوتها ، وتقدمها تقديما متميّزا لغرض الكشف عن عالم هذه الشخصية في مواقفها أو هواجسها أو تأملاتها أو علاقاتها فتسير هذه الشخصية على قصيدة القناع وتتحدث بضمير المتكلم إلى درجة يخيل إلينا معها أنّنا نستمع إلى صوت الشخصية نفسها لكننا ندرك شيئا فشيئا أنها ليست سوى قناع ينطق الشاعر من خلاله فيتجاوب صوت الشّخصيّة المباشر مع صوت الشاعر الضمني تجاوبا يصل بنا إلى معنى القناع في القصيدة [١] .

ومما تقدم نجد أن القناع يمثل وسيلة درامية ناجعة للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة ، ووسيطا دراميا بين النص والقارئ ، وهو أيضا تقنية جديدة في الشعر الغنائي لخلق موقف درامي أو رمز فني يضفي على صوت الشاعر نبرة موضوعية من خلال شخصية من الشخصيات التراثية ، أو الواقعية ليتحدث من خلالها عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم إلى درجة أن القارئ لا يستطيع أن يميز تمييزا جيدا صوت الشاعر من صوت هذه الشخصية ، فالصوت في النص يصبح مزيجا من تفاعل صوتي الشاعر والشخصية المحكي عنها ، وبهذا يكون القناع وسيطا فيه من الشاعر مثل ما فيه من الشخصية التراثية التي يمثّلها القناع ، لأنّ التفاعل بين الطرفين يضفي على الرمز الفني وضعا مختلفا ودلالات جديدة ، لا سيما أن صوت الماضي يندغم في صوت الحاضر، ويندغم صوت الحاضر في صوت الماضي للتعبير عن تجربة شعرية معاصرة. [٢] ، إذ أن ((مبلغ طموح الشاعر هو امتلاك القدرة على تطويع التجربة السابقة والتصرّف بها، وإضافة دلالات جديدة، وتوجيه بعض مفردات التجربة القديمة لتخدم تجربته وتعبّر عنها)) [٣] .

وقد غلب التقنع بالشخصيات التاريخية غيره من أنواع الأقنعة لذلك طالما وجدنا أن القناع يمثل ((شخصية تاريخية ـــ في الغالب ـــ يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده ، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها))[٤] ، لذلك يمكن القول أن أسلوب القناع يمثل مرحلة متطورة في أساليب التعامل الشعري مع التراث من خلال الاستعانة الفنية بالشخصية التاريخية لبناء قصيدة ذات منحى درامي يتصاعد مع السمات التاريخية التي تحملها هذه الشخصية وانعكاسها في ذات الشاعر ، وهو مسعى لإرساء دعائم متينة مع قضايا التراث ، ويصب في تطوير الأدوات الشعرية في الوقت ذاته [٥] .

وللتقنع عدة دوافع ، من أهمها : العوامل السياسية والاجتماعية ، والعوامل النفسية ، والعوامل الثقافية ، والعوامل الفنية ، والعوامل القومية [٦] ، وتلك العوامل كلها يمكن أن تجعل من القناع وسيلة تتيح للشاعر أن يتحدى المعوقات الرقابية التي يخشاها وهو بصدد معالجة القضايا الشخصية أو الاجتماعية أو السياسية ، كما يمكن للقناع ــ أيضا ــ أن يتيح للشاعر أن يمزج بين الماضي والحاضر أو بين الجديد والقديم أو بين الذات والموضوع وهو بصدد التعبير عن وحدة التاريخ والوجود .

---

[١] أقنعة الشعر المعاصر، مهيار الدمشقي ، مجلة فصول، مج١،ع٤- يوليوا ١٩٨١م ، :١٢٤.

[٢] ينظر ، بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة ، شبكة الانترنت .

[٣] القناع في الشعر العربي الحديث ، دراسة في النظرية والتطبيق : ٨٩.

[٤] اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ١٥٤.

[٥] أثر التراث في الشعر العراقي الحديث : ١٦٨. وقصيدة القناع عند الشاعر المصري أمل دنقل (بحث)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، ع ١٣ ، لسنة ٢٠١٣ : ١٠٧ .

[٦] ينظر : القناع وقناع الامام الحسين في شعر عبد الوهاب البياتي ، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر ، جامعة زنجان ، ايران ، العدد ١٢ السنة الثالثة : ٩

المبحث الأول

القناع وأحادية صوت الأنا

من خلال القناع يمكن الحديث عن الموضوع بوصفه يمثل نفسه هو ويمثل الأنا في الوقت ذاته وذلك مسعى يتحقق من خلال التماهي وتفريع أساليب القول لينتج حكاية واحدة تجمع الأنا والموضوع في ظل جدل الاتصال والانفصال بينهما .

وتعدُّ قصيدة (الحسين يكتب قصيدته الأخيرة) ـــ موضوع الدراسة ـــ من القصائد المتأخرة للشاعر رشدي العامل [١] ، والقصيدة تدور كلها على لسان الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الذي استشهد في كربلاء العراق عام ٦١ هجرية في معركة غير متكافئة أبدا ، فروح الإمام هي التي تتحدث ، فهي الراوي الوحيد في النص ، وليس هناك أي صوت آخر في النص كله غير صوت الحسين (ع) .

ويبدو من خلال قراءة النص أن تقنية مثل هذه ، كانت أشد وقعا في النفوس ، وأبلغ تأثيرا في استثارة العواطف ، وأكثر دقة في تصوير واقع الحال ، فالمتحدث هو ذاته بطل المأساة ، إنه الشاهد والشهيد في الوقت ذاته ، فالقصيدة ملحمة تروى على لسان بطلها ، مستمدة تأثيرها من الصوت المدوي حزنا وغضبا مع قراءة كل حرف من حروفها .

والشاعر أزاء توظيف الشخصيات التاريخية في شعره إما أن يستعير صفة من صفات تلك الشخصية ، أو يستحضر حدث من أحداث حياتها ، أو يستعير بعض أقوالها ، أو يستعير المدلول العام لها ، وقد يتحدث الشاعر من خلالها ، أو يتحدث اليها ، أو يتحدث عنها ، أو يجمع بين أكثر من صيغة من هذه الصيغ ، وبذلك فالشخصية التاريخية قد تكون عنصرا من صور جزئية ، أو معادلا تراثيا ، أو محورا للقصيدة ، أو عنوانا على رحلة تاريخية [٢] ، فالشعراء يميلون إلى جعل سير القدماء أمثلة يفيدون منها في أشعارهم ، فمن عادة الشعراء منذ القدم ((أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة ، والأمم السالفة))[٣] .

ولا بد للشاعر حينما يريد توظيف شخصية تراثية في شعره أن تتوافر له الحوادث والحوار والشخوص لكي تؤدي قصيدته تأثيرها المطلوب [٤] .

تظهر فلسفة القصيدة في الفكرة المعطاة ، التي تؤطر النص كله ، وهي أن الحسين خالد ، تُحكى قصته كل يوم ، إذ ان مظلوميته وما تعرض له تأبى النسيان والذواء ، فهي شاهد حي على أن في الأرض ظلم يفوق الخيال ، يقول رشدي العامل على لسان الإمام الحسين ع :

ها أنا الآن نصفان

نصف يعانق برد الثرى

---

[١] القصيدة نشرت أولا في مجلة القصب العراقية التي صدرت في بيروت ، ورأس تحريرها الشاعر العراقي مدين الموسوي ، في عددها السادس عشر ، السنة الرابعة ، الصادر عام ١٩٩٩ . ثم اعيد طبع القصيدة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة التي طبعتها دار المدى كاملة .

[٢] ينظر ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : ١٩٤ـ ٢٤١

[٣] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق : ٢/ ١٥٠.

[٤] ينظر ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ٢٨٥.

ونصف يرف على شرفات الرماح
ها أنا والرياح
جسدي تحت لحدي
ورأسي جناح[١]

ففي البدء تكون الذات واحدة (ها أنا) لكنها وفي الوقت ذاته تستشعر الانفصال (نصفان) فهي منذ الوهلة الأولى تعيش جدلية الاتصال والانفصال ، التوحد والتمزق ، ولا يتأتى الانشطار إلا لترسيخ المعنى الوحدوي إذ أن لكل نصف شأنه فـ (نصف يعانق برد الثرى) و(نصف يرف على شرفات الرماح) ، وزيادة في الامعان بالاتصال تعود الأنا واحدة لتقابل الرياح (ها أنا والرياح) كناية على الفجيعة والتحدي في الوقت ذاته ؛ فجيعة القتل العنيف وتحدي الرياح الصحراوية القاسية التي تلفح الجسد المطهر عاريا ، فيما كان الرأس بعيدا يرف مثل جناح يحمل المعاناة إلى السماء لتنظر إلى ظلم أهل الأرض ، وما تقدم كله ربما ردة فعل من قبل ذات الشاعر ، فردة الفعل هذه غير منفصمة عن الواقع المعيش ، فهي من هذه الوجهة قد تكون أسلوبا من أساليب الدفاع ضد الاضطهاد الذي يعانيه المجتمع عامة [٢] .

ها أنا بين رمل الصحارى
ولون السماء
ها أنا في العراء
أنكرتني ضفاف الفرات
فلم الق قطرة ماء [٣] .

هذه اللوحة المركبة التي تضمنت صورا جمعت بين عناصر حسية (الجسد الشريف ، والرأس ، والرماح ، واللحد) وعناصر معنوية (يعانق برد الثرى ، وها أنا بين رمل الصحاري ولون السماء) ، أريد من ثرائها هذا مناوشة الواقعة ، أو تصوير الحال بعد الفتك بالحسين ، وأنصاره ، لتكون صادمة ، مؤثرة ، مجلجلة للوجدان ، لا سيما أن النص يتحدث بلسان الإمام المفجوع بذاته المنشطرة ولا نستبعد أن تكون هذه الأسطر معبرة عن هواجس الشاعر وهمومه ، وهو الذي عاش فقيرا مطاردا في بلده ، فلا يُستبعد أن يكون ((أصل كل تأليف أدبي هو تجربة مارسها المؤلف)) [٤] ، لذلك يمكن القول أنها تصلح مدخلا مناسبا للشكوى والنقد ، وقد أفصح عن المراد بصورة جلية عن طريق الاستعارة المكنية بقوله على لسان الإمام :

أنكرتني ضفاف الفرات ، فلم ألق قطرة ماء [٥].

أما ما سكت عنه النص ، أو ما يمكن قراءته في الفجوات التي تركت فارغة ـــ إن صح التعبير ـــ فيتمثل بالنصيحة ، أو التحذير من تكرار الفاجعة ، فعلى البشر أخذ الحيطة والحذر من تكرار الظلم الذي وقع

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣١.
[٢] ينظر ، الشعر والمجتمع : ٦٩.
[٣] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣١.
[٤] قواعد النقد الأدبي : ٤٧.
[٥] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣١.

للإمام ، فليس من المستبعد أن يطل الظلم والطغيان برأسه مع كل فتور من بني الانسان ، ومع كل تكاسل ، والسبيل إلى تجنب ذلك الظلم يكمن في الإفادة من دروس التاريخ التي من أهمها درس المأساة الحسينية ، وما جرى على الحسين وأهله من ظلم فاق حدود التصور ، وكأن رشدي العامل ـــ كأي شاعر عراقي معارض في الحقبة السابقة ــ يرى ببصيرته أن هناك خطرا ربما يكون وشيكا ، وبالتالي فأنه ليس ببعيد أن تتكرر مأساة الحسين ثانية ، لذلك ما فتأت روح الإمام تخلق عوالم تتأسى بها بدلا عن عالم الأرض الذي تنكر لها :

لجناحي ترف الغصون
وترنو إلي البتول
يقبل ثغري المدى الصحابة
يبكي علي الرسول [١]

وهنا نلحظ أن الوجود الخيِّر كله يقف إلى جانب الإمام ، بعد مماته ، وينفعل لروحه المحلقة في السماء ، يواسيه الرسول وترنو له البتول ، فهو المؤيد منذ طفولته بحب جده المصطفى ، وحب الصحابة ، وفي ذلك مسعى شعري لا تخفى فوائده لذلك يؤكد علماء النفس إن الدافع إلى الابداع الأدبي هو الرغبة في الخلاص من الصراعات النفسية [٢] .

وقد لجأ الشاعر إلى التماهي مع شخصية الإمام الحسين باتخاذه تلك الشخصية قناعا يتحدث من خلالها ، يقول رشدي العامل :

وأنا ارتدي الدم أحمر كالجلنار
وأغطي جبيني المخضب بالأرجوان
تلك عيني مفتحة
وعيونك مغمضة يا يزيد
هيئ الآن غرسك ، فاليوم عيد[٣]

فالحسين بحسب النص يعد أكبر من الحياة ، ولعله لكبره ولعلوه كان خارج الدائرة التي يمكن للمرء من خلالها أن يتوحد مع البطل ، رغم تطلعه إليه ، ولذا يكون التعبير الفني قاصرا عن مداه الفاعل ، غير أن المأساة تبدو قابلة للتعبير فنيا ، عندما يكون فيها من يمكن أن نوحد أنفسنا معه ...[٤] . وفي مقطع آخر يقول الشاعر :

تتوهج في جسدي جمرتان
تتفتح في محجري زهرتان

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣١.
[٢] ينظر ، التفسير النفسي للأدب : ٣٧.
[٣] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.
[٤] جدلية المأساة في (الحر الرياحي)، مجلة الموسم ، ع ١٠٤، السنة ٢٦، عام ٢٠١٤: ١٢٦.

تتمايل فوق الجبين المخضب

تقفو خيوط الدم

في وجنتي

خصلتان

ها هنا عالمان

بين روح تفر من الجسد المطمئن

وجراح تنز

هنا عالمان

عالم خانه ناسه

وثاني سيأتي على مهل لم يخني[١]

نلحظ هنا أن الأنا لم تبق على حالها فهي (جمرتان ، زهرتان ، خصلتان) إنهما عالمان ؛ عالم خانه الناس وعالم لما يأتي بعد ، وهكذا يبدو النص كأنه يؤطر لفهم مفاده أن لا خيار ثالث غير هذين العالمين وهذا هو الواقع بعينه ، الواقع الذي تقرأه روح الإمام ، وهو حتما واقع ينعكس على المتلقي الذي يقرأ النص ، فإن استجابة المتلقي تتمثل في التماهي مع تجربة الأديب ، واصدار الأحكام تبعا لذلك [٢] .

وهذا المنحى التجديدي في عرض التاريخ العربي المُدمى ظهر في الشعر العراقي بعد مطلع القرن العشرين نتيجة شعور الذات العربية بالتمزق بعد عهود الاحتلال المضنية ، ويستمر النص بالنفس التراجيدي نفسه ، يقول الشاعر :

ذاك رأسي تبعثر بين الرؤوس

بين برد السفوح ورمل الصحاري

صارخا بين نوم الحمام وضرب الفؤوس

ويزيد تمطى بحضن الجواري

عاريا مثل صبارة في القفار[٣]

ولعل أهم ما تؤديه وظيفة القناع للشعر ذلك الاستقرار النفسي الذي يتولد من معانقة تجارب العظماء والاتحاد مع ذواتهم وإن كانت تجارب فجائعية ، وفي الوقت ذاته يكون الابداع ردة فعل تتناسب والقلق الذي يعيشه الأديب [٤] .

المبحث الثاني

القناع ، ثنائية الأنا والآخر

الأنا تستحضر الآخر المضاد

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٥- ٨٣٦.
[٢] ينظر، سيكولوجية التذوق الفني : ٦٧.
[٣] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.
[٤] ينظر ، نقد الشعر في المنظور النفسي : ١٨٣.

في السرد الشعري يُلزم الشاعر نفسه بنقل الأحداث تبعا لما ذكرته الروايات التاريخية دونما تغيير ، أما في النقل القصصي فأنه يتصرف بالرواية بالحذف والزيادة والتحوير ، وفي النقل الوصفي يخرج الشاعر من قيد الرواية إلى النمط الغنائي فيطغى الجانب الذاتي على نصه [١] لغرض التأثير في المتلقي وتهيئته لتلقي الأفكار الأساسية في النص ، كما فعل رشدي العامل في نصه موضوع الدراسة فقد تكونت القصيدة من أقسام عدة يمكن أن نطلق عليها (لحظات) ، كونت بمجملها مشهدا متماسكا مترابطا نفسيا وفنيا ، إذ أن هذه اللحظات تشي كلها بزعزعة روح السكينة والخنوع ، من خلال التدرج الموضوعي الذي ابتدأ بروح الحسين وهي ترسم المشهد العام منذ لحظة مقتله ، وصولا إلى استحضار الآخر ، يقول رشدي العامل :

فاقطع الآن من جسدي ما تشاء
سيفل الحديد الوريد
جرب الآن في جسدي ما تريد
ذاك رأسي
على طبق بارد يا يزيد
جرب الآن ما تشتهي هل تعيد
يوم بدر
إذا صهلت في الفيافي الخيول
أم تعمم سفيان
ترضي معاوية والوليد[٢]

الخطاب موجه ليزيد ، الذي كان خليفة المسلمين وهو من أمر بقتل الحسين ، فهو بحسب النص بحكم القاتل ففي قوله (فاقطع الآن من جسدي ما تشاء) نجد أسلوب الأمر لتثبيت المفارقة فكيف يأمر الضحية القاتل ؟ . والأشطر المتقدمة كلها تؤدي وظيفة التبكيت والإفحام ، فليس ليزيد أن يعيد ما جرى في المواقف السابقة ، فالفارق كبير بين الطرفين فإذا كان يزيد محملا بأحقاد الماضي فإن الإمام جدير بالوصف بصفات المبدئية العالية ، ومفردة : (جرِّب) التي تكررت أكثر من مرة فعل أمر ، ومن المعلوم أن فعل الأمر عادة ما يصدر من الأعلى إلى الأدنى ، وغالبا ما يتطلب التنفيذ ، على الضد من الالتماس ، مما يؤكد أن الإمام الحسين في خطابه ليزيد يحاول أن يجعل من يزيد أقل شأنا منه ويجعل من فعل يزيد فعلا لا جدوى من وراءه لأنه بني على أوهام وأكاذيب ، وعلى رأي بول ويكور فإن السلطة السياسية قد تحرف تكرار الفعل المؤسس ، وتحوله إلى أكاذيب لتبرير شرعيتها على حساب المزعوم ، لكن المؤمنين بذلك الفعل وكرد على تحريف المؤسسة السياسية يشكلون خطابا آخر يظل مصرا على النفس النقدي لأفعال تلك السلطة [٣].

وتزداد قوة التحدي من خلال الإيغال في استعمال صيغة الأمر ، يقول الشاعر :

---

[١] ينظر ، رثاء الامام الحسين في الشعر العربي المعاصر : ١٣٣ـ ١٣٥.
[٢] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل :٨٣١ـ ٨٣٢.
[٣] ينظر الوجود والزمان والسرد :١٠٢ .

فاضرب الآن في جسدي يا يزيد
وزع الآن ما يشترى
وزع الآن من جسدي دمه
لحمه
ثغره
حلم عينيه ، فاليوم عيد
غير أن السماوات تبكي
وثغر النبي يقبل ثغر الشهيد [١]

نلحظ هنا تكرار أسلوب الأمر(اضرب ، وزِّع) والمقابلة بين الشخصيتين من أجل التقليل من شأن يزيد والاعلاء من شأن الحسين ، فالعمل الأدبي الناضج كامل في حد ذاته ، فلو أضفنا إليه شيئا ، أو حذفنا منه جزء تكون النتيجة إما انهيار العمل كلية ، أو خلق عمل جديد لا يمت بصلة إلى العمل الأصلي [٢] إذ يعود السبب في ذلك إلى وحدة العاطفة ، فالعاطفة هي التي تهب العمل تماسكه ووحدته [٣] ، ويعود أيضا إلى الأسلوب فالأسلوب والفكر شيء واحد ، وإن من الخطأ الفادح محاولة فصل الشكل عن المادة [٤] ، ومن ذلك كله ينتج الأدب وتخلق الصور ، يقول عزرا باوند ((الصورة هي التي تعرض مركبا عقليا وعاطفيا في لحظة من الزمن))[٥] .

وهنا لا بد من محاورة القاتل لإثبات هزيمته ، فالمقتول هنا منتصر بخلاف السنن التي ترى أن المقتول منهزم في أغلب الأحوال ، إذ أن الخلود والانتصار والبقاء ، لمن يضحي ، لنستمع إلى محاورة الإمام يزيدا :

جرب الآن ما تشتهي يا يزيد
جسدي في ثرى كربلاء
ورأسي بعيد
عانقتني السيوف الصفاح
وغزتني الرماح
ومشت فوق ما بعثرتني الخيول
غير أن السيول
حين تأتي
ستجفل من صوتها صهوات الخيول[٦]

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٢.
[٢] علم الجمال والنقد الحديث : ٣١.
[٣] المجمل في فلسفة الفن : ٤٨.
[٤] النقد الأدبي : ٣٤.
[٥] أسس النقد الأدبي الحديث : ٢/ ٢٥٠.
[٦] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٥.

وتتصاعد اللهجة لتبكيت الخصم واثبات فشله على المدى البعيد ، فيقول الشاعر :

جرب الآن في جسدي ما تريد

فسأبقى الحسين

وتبقى

إذا ذكر الناس

هذا يزيد[١]

استحضار الآخر القريب ، زينب

وللقناع في القصيدة المدروسة أسلوب آخر يتمثل في حكاية الآخر القريب بوصفه اطرف المضاد تماما للآخر العدو ، وهنا يضعنا النص وجها لوجه أمام حكاية زينب بنت علي أخت الحسين :

زينب

وحدها في البراري

تحمل الرأس

رأسي إلى الشام[٢]

نحن أمام صورة مجسدة ، على الرغم من بساطتها لكنها فيها من التأثير ما لا يخفى على لبيب فنبرة الحزن هي السائدة هنا ، فلا أكثر حزنا من الأخت على أخيها ، ولا عجب في ذلك فالقصيدة تندرج ضمن شعر رثاء الإمام الحسين ، الذي كان وما زال بابا رحبا في الشعر العربي [٣]، حينما يتحول الشاعر ، أو لسان حال الحسين في اللوحة الزينبية ــ إن صح التعبير ــ فيقول رشدي العامل :

زينب ... وحدها في البراري ... تحمل الرأس [٤].

وأظن أن الشاعر نجح في رسم لوحته ليضيف أبعادا أكثر درامية على مشهدية الحزن ، وليثبت إجادته في مخاطبة المتلقي بإحضار الشخصيات المؤثرة ، والعالقة في الذاكرة الجمعية .

ففي هذه اللوحة حاول النص استنطاق مشاعر التأثر المفجع كافة ، إذ أن مفردات الحزن وتراكيبه انبثقت من حساسية التوتر والإنفعال ، فتفجرت بطاقة تأثيرية هائلة ، لا سيما في قوله : (زينبٌ تلثم الرأس كي تستفيق الصحاري) ، ونعتقد أن هذا وحده كان سببا كافيا ليجعل النص مشعا لا سيما أنه تضمن تكرار الفكرة

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٦.

[٢] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣١.

[٣] ينظر ، للمزيد في غرض الرثاء ورثاء الإمام الحسين خاصة : شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، وشعر الرثاء في العصر الجاهلي ، دراسة فنية ، والرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ، وشعر الرثاء في صدر الاسلام ، دراسة موضوعية فنية ، والرثاء في الشعر العربي ، العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ورثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، ورثاء أهل البيت ع في شعر العصر الأموي ، ورثاء الإمام الحسين في الشعر العراقي في العصر الوسيط ، دراسة في الفن ، والإمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث ، الحسين في الشعر العربي المعاصر ، ، والإمام الحسين في الشعر العربي المعاصر ، وأبو الشهداء الحسين بن علي ، وواقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، وأبو الشهداء الحسين بن علي .

[٤] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.

بوجهين لتفيد شدة التأثير ، فالتكرار نوعان : تكرار معان ، وتكرار أشطر ، وكلاهما قد يحققان توكيد ما في ذات الشاعر من حزن ولوعة [١] .

وحدها في البراري

زينبٌ تلثم الرأس

كي تستفيق الصحاري

زينب وحدها

بين رأسي مخضبة والرجال[٢]

وهنا نجد الوظيفة القناعية تتمثل بالتماهي مع الموضوع بدلالات مفردات الحزن الرافض ودلالة التراكيب في القصيدة [٣]، فالقصيدة مشجية كلها حتى في المشاهد التي أريد منها التحدي ، والرفض ، بدلالة ألفاظ الحزن المنفردة التي امتلأ فيها النص من أوله لآخره ، أو بدلالة المشاهد الحزينة والمؤثرة التي اتقن الشاعر تصويرها ، وربما عبرت الأبيات عن حالات الحرمان الذي يعانيها الشاعر ، أو المجتمع لذلك اتسم النص كله بلهجة صادقة ، يقول ارسطو : ((والحق أن أقدر الناس تعبيرا عن الشقاء من كان الشقاء في نفسه)) [٤] ، ومن جراء الإحساس بالشقاء ومعايشته قد تنشطر الذات على نفسها ليكون كل شطر إزاء الآخر وجها لوجه ، إنها عملية مرآوية تستمر ريثما يعكس الشطران بعضهما ليعودا ممتزجين ثانية في حنين إلى الأصل الواحد ، وهذا ما نجده في مفتتح القصيدة المدروسة .

ويستمر الصوت بهذه الحكاية ليواصل حكاية زينب ، المرأة التي تحملت من الأعباء بعد مقتل أخيها وأفراد عائلتها ما لا طاقة لبشر على تحمله :

في أعالي الفرات

صعدت للسفوح الظهيرة

مرت بها زينب تحمل الرأس

صامتة في الفلاة

فانحنى النخل

واستيقظ الماء في السعف

أنت صخور الفرات

وخطت على دربها القبرات [٥]

---

[١] : الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.

[٢] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.

[٣] ينظر ، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، والأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، والتفسير النفسي للأدب ، وعلم النفس الفني ، وعلم النفس والأدب ، ومن الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، والمدخل الى نظرية النقد النفسي ، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا) ، دراسة شعرية نقدية ، وموسوعة علم النفس ، ونقد الشعر في المنظور النفسي ، وسيكولوجية التذوق الفني ، وسيكولوجية الابداع في الفن والادب ، ونوافذ الوجدان الثلاث ، دراسة نفسية في شعرية الخطاب الأدبي ، ومصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث : ١٢٥.

[٤] فن الشعر : ٤٨.

[٥] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٤.

لقد عبَر القناع عن حالة الاتحاد الفني بين الذات الشاعرة والموضوع أو الشخصية التي تقمصته أو عبر عن الاتحاد بين المتلقي والموضوع أيضا ، فقد ((تحس نفسك والصورة التي تراها ، أو الموسيقى التي تسمعها شيئا واحدا)) [١] ، فالشاعر الناجح هو من تجسدت بداخله هموم عصره ، وعايش القلق الانساني ، فتفاعل بداخله همه الذاتي مع ذلك القلق[٢] ، ولا يمكن للأديب أن ينقل التجارب الحياتية بصدق إلا إذا وقف منها موقف المستشرف المتأمل [٣] .

زينب في الفلاة

زينب في أعالي الفرات

مرحبا يا فرات

خانك الماء في الصيف

واستل منك المياه

أنت أغرقت في ساعة الصفر أرواحنا المزهرات

وسطوت علينا

سرقت نواعيرنا المثقلات

مرحبا يا فرات

أيها العاشق الشيخ ، خان العهود

حجبت حماماتنا

ثم أطلقت فينا الفهود[٤]

فالنجوم مسورة

والصباحات سود[٥]

وهنا نجد التعبير جليا عن رغبة الأديب باللجوء إلى نمط سلوكي سبق وأن ألفه ، واطمأن إليه [٦] ، وقد تمتزج الأنا مع الـــ (نحن) في حالة بناء اجتماعي متكامل نفسيا في الأعمال الأدبية المعبرة [٧]لقد ارتبطت ثورة الامام الحسين بالألم ، وارتبط الالم بالأمل في الخلاص من مساوئ الحاضر [٨] .

وينتقل النص عبر القناع إلى حكاية أخرى ، فالحسين هنا سيروي حكاية ابنه ، يقول رشدي العامل :

ذاك ابني

تناوشه في الصحاري الخيول

---

[١] من الوجهة النفسية في دراسة الادب : ٦٤.
[٢] ينظر ، الإبداع فن الفن : ٦٦.
[٣] ينظر ، علم النفس والأدب : ١٤٤.
[٤] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٤.
[٥] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٦.
[٦] ينظر ، موسوعة علم النفس : ١٤٤ .
[٧] ينظر ، الأسس النفسية للإبداع الفني : ٣٢٩.
[٨] ينظر ، تراجيديا كربلاء ، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي : ٣٠٨.

فاستفيقي إذن يا بتول
أيقظي السيف في كف حيدر
سلي من النوم عين الرسول [١]

وفي هذا المشهد جمع بين الحزن ، واستصراخ السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد وأبيه حيدر ، يأخذنا النص نحو عالم الأمومة وانثيالاته المأساوية ، ليقف صوت الإمام عند أمه الزهراء ، وهي ترثي ولدها في منظر يجمع بين حزن الأم وغضبها ، وهي تنظر وليدها قد تناوشته الخيول في الصحاري .

ففي هذه اللوحة نجد أن المعنى العام مؤثر محزن ، لكننا لو تأملناه مليا ، سوف نكتشف إن مفردات التحدي هي التي رسمت معالمه ، مما يجعلنا نميل إلى أن حزن الشاعر لا يمثل استسلاما ، بل هو حزن ايجابي ، خلاق ، بدلالة مفردات الرفض والتحدي والثورة : (استفيقي ، وأيقظي ، وسلي ، والروح تنبيء بالبقاء) وقد أفادت عبارة (سلي من النوم عين الرسول) بعدا تأثيريا لما تضمنته من صورة السيدة الزهراء وهو يطلب منها أن تستنهض أبيها الرسول ليقتص من قتلة ابنها ، صورة معبرة ...

وهذه انتقالة أخرى ، حكاية زوجة الحسين الرباب ، يقول رشدي العامل :

غادرت نزهة العيد
هذا أوان الحساب
أوقدي الجمر في موقدي يا رباب
ودعي قطرة من دمي تتمشى مع الماء
في قهوة الصبح
عل الفناجين تسقي الشفاه
ولعل الوجوه التي أنكرتني
تغسل أهدابها بالمياه [٢]

لقد ازداد توهج النص في لحظته الثانية عشر حينما يجعل روح الحسين تتكلم بلغة تجمع بين التوعد والأمل .

أفادت مفردة الحساب الواردة ثقلا معنويا ، إذ أن هذه اللفظة كثيرة الورود في القرآن الكريم ، وتوحي بنيل الجزاء ((إن الشعراء قد استمدوا أفكارهم من المناهل التي تدور في دائرة اسلامية صرفة ، قوامها ما جاء في القرآن الكريم))[٣] ، فلا بد من العودة في يوم ما ، لكنها عودة المنتصر ، عودة الاشراق والأمل ، وانبعاث الروح من جديد ، واخضرار الأحلام .

وقد يكون الآخر غير العاقل لتتفرع الحكاية إلى حكاية الرمال :

حتى الرمال
أخرجت ما تضم من الماء

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٣.
[٢] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٦.
[٣] شعر الرثاء في صدر الاسلام : ٢٢.

وانسل من جوفها النهر

يدعو تعال

أيها الرأس أسقيك ماءً زلال[١]

لقد أكدت التجارب والملاحظات إن الاستجابة في الأعمال الناجحة لا تحصل ما لم يكن هناك اندماج بين النص والموضوع الذي يتحدث عنه [٢] ، فلن يستطيع الشاعر أن يجعل المتلقي مشاركا له ((إلا إذا استطاع أن يتجاوز تجربته الذاتية الى تقديم تجربة عامة يشترك فيها جميع الناس))[٣] .

المبحث الثالث

وحدة النص واستشراف المستقبل من خلال القناع

إن وحدة القصيدة ظهرت لأول مرة في كتابات الناقد والشاعر الانكليزي كولوردج الذي أثر كثيرا فيمن جاء بعده من الأدباء [٤] ، فيما يرى المرحوم عناد غزوان إن الأحكام النقدية العربية بخصوص وحدة القصيدة ((تكاد تكون خالية من الروح التحليلية للقصيدة العربية كوحدة فنية قائمة بذاتها))[٥] ، ويمكن العودة بهذه الآراء المعاصرة إلى الجاحظ حينما ذكر بأن ((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء))[٦] ، ومن الناحية التحليلية فإن ابن قتيبة قد يكون أول من تحدث عن وحدة القصيدة بشكل علمي ، حينما فصل عملية انتقال الشاعر من جزء الى جزء آخر حتى تستوي قصيدته وحدة واحدة [٧] ، حتى سار بين القوم بأن ((أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسق به أوله مع آخره))[٨] وكذلك شبهوا هيكل القصيدة بجسد الإنسان فـ ((مثل القصيدة مثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض))[٩]

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن النص المدروس هنا ، بلغته ، وأسلوبه يحاول كسر هيمنة الاستسلام الفردي بالعروج نحو الروح الشاملة ، رغبة في استمرار نبرة الحزن الإيجابي ، وتغليبها على أجوائه ، ويمكن أن يكون هذا درسا تربويا للأجيال القادمة ، إذ ((إن القيمة التربوية لشعر الرثاء الحسيني قيمة حقيقية وكبرى ، وذات تأثير حاسم))[١٠] ، ونجد هذه الأمر يزداد وضوحا في تتبع اللحظات الأساسية التي تكونت منها القصيدة ، فمن الطبيعي أن يتحول تأبين الموتى والقادة الى مناسبات يعرض فيها الشعراء آراءهم حول

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٢.
[٢] ينظر ، علم النفس الفني : ٢١٢.
[٣] المدخل إلى نظرية النقد النفسي : ١٢.
[٤] ينظر ، وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي : ٥٦.
[٥] مكانة القصيدة العربية بين النقاد والرواة العرب : ٤.
[٦] البيان والتبيين : ٦٧/١.
[٧] ينظر ، الشعر والشعراء : ٧٤/١.
[٨] عيار الشعر : ١٢٦.
[٩] زهر الآداب : ٣/ ١٦.
[١٠] واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي : ٣١٢.

السياسة والمجتمع [١] فالشعر عامة ، والرثاء منه ، في كل عصر متأثر بالبيئة الاجتماعية وأحداثها السياسية ، وكيفية تفكير الإنسان ورؤيته لقضايا الحياة والموت [٢] .

العودة المنتظرة

يقول رشدي العامل :

ولعلي أعود
على غيمة من وعود
بين برق تلألأ في أفقكم والرعود
سيهز الجزيرة صوتي
ويوقظ حتى اللحود[٣]

ونرى أن قصيدة رشدي العامل هذه تكون بمجملها جنسا دراميا واحدا تداخل فيه الشعري مع السردي حتى امتزجا في بوتقة واحدة ، فقد توافرت على الصنعة الشعرية وصنعة السرد معا ، فتواشجت فيها عناصر الإيقاع والخيال مع عناصر الحبكة والحدث والشخصيات .

وهذا منحى أسلوبي عرف به الشعر العراقي المعاصر ، لا سيما الستيني منه [٤] فالشعراء الستينيون في العراق ــ ورشدي العامل منهم ــ عاشوا وسط خليط فكري متنافر ، لذلك كانوا يبحثون عن خلاص ما غير الخلاص الذي وعدتهم به الأحزاب السياسية التي كانوا ينتمون إليها [٥] ، لذلك عمدوا إلى ((الاحتجاج على كل شيء))[٦]

الأنا والخلود

منذ ألف تقمطني الأمهات
ويرضعنني من حليب الصدور
منذ ألف تكفنني الثاكلات
ويغرسن حولي النذور
منذ ألف يحس الجذور
دمي المستباح
إلى نخلة في أعالي الفرات[٧]

وهنا يمكن الحديث عن الوظيفة الفنية للقناع في تحقيق المشهدية فوحدة النص أو وحدة القصيدة تمثل وجها من وجوه وحدة الذات الإنسانية لذلك يمكن القول بأن الاندماج الفني بين الذات والموضوع تتمثل في خلق

---

[١] ينظر ، شعر الرثاء العربي ، واستنهاض الهمم : ٦٢.
[٢] ينظر ، رثاء أهل البيت في العصر الأموي : ٥٠.
[٣] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٦.
[٤] ينظر ، تداخل الفنون في القصيدة العراقية الحديثة ، دراسة في شعر ما بعد الستينيات : ٨.
[٥] ينظر ، الموجة الصاخبة ، شعر الستينات في العراق : ١٩.
[٦] الشعرية العراقية ، أسئلة ومقترحات للقراءة : ٥٨ .
[٧] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٧.

المشهد العام الذي يعادل موضوعيا ما مرَّ على الإمام بعد استشهاده على الرغم من أن الشعراء المعاصرين تعددت أساليبهم في التأثيث المشهدي لواقعة الطف ، فمنهم من التزم طرق القدماء في التعبير ، ومنهم من مال إلى أساليب الشعرية الحديثة التي غالبا ما تعتمد على النقل الروائي أو القصصي أو الوصفي .

منذ ألف أدور . . أدور . . . أدور

وأبقى أدور

مرحبا يا فرات

مرحبا يا فرات [١]

لقد حرص الشعراء عامة ، ومنهم المعاصرون على العناية بوحدة القصيدة بغية أن تكون قصائدهم متسقة النظام ، محكمة الأجزاء ، متناسقة الأفكار ، لا يحس المتلقي بفجوة أو تناقض في بنيانها [٢] ، وقد كانوا على علم بأن ذلك الأمر لا يتحقق بدون توافر الخيال الخلاق فالخيال((هو القوة التي بواسطتها تستطيع صور معينة أو احساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس ، فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر)) بحسب ما يروى عن كولوردج[٣] ، فالخيال هو السبيل الوحيد لتحقيق وحدة النص حتى وإن كان واحديا فإن ((هيمنة صورة واحدة ، أو احساس واحد على القصيدة ــ أو على أي عمل فني ـــــ هو المحقق للوحدة)) [٤] .

يقول العقاد : ((نريد أن يشيع الخاطر في القصيدة ، ولا ينفرد كل بيت بخاطر ، فتكون كما أسلفنا بالأشلاء المعلقة أشبه منها بالأعضاء المنسقة))[٥] ، ويرى الدكتور طه حسين إن القول بتفكك أجزاء القصيدة العربية كما أشيع عند آخرين أسطورة من الأساطير[٦] ، وشعر الرثاء أقرب إلى هذه الوحدة ، فالمرثية ((سواء أكانت قصيدة متعددة الموضوعات أم كانت متضمنة موضوعا واحدا لا تفتقد على الاطلاق ضربا من الوحدة نسميها هنا بالوحدة الفنية))[٧] ، وقد وجد إفلاطون أن الوحدة ممكن أن تتحقق عن طريق التنظيم الواعي للأجزاء [٨] ، وأن الوحدة رابطة مثالية بين البداية والوسط والنهاية [٩] ، ومن ثم فهي رابطة نفسية بين الموضوع والمبدع .

الخاتمة

لعل القارئ شعر بعد هذه الرحلة المقتضبة في رحاب إحدى قصائد الشاعر رشدي العامل بأن القناع ممكن أن يؤدي ما لا تؤديه أي وسيلة اقناعية أو جمالية أخرى ، فقد تنوعت لغة القصيدة موضوع الدراسة بين

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل : ٨٣٧.
[٢] ينظر ، الرثاء في الشعر العربي ، د. عبد الحسين الحلي : ٣٠١.
[٣] كولوردج : ١٥٨.
[٤] شعر الرثاء في العصر الجاهلي ، الشوري : ١٢٩.
[٥] الديوان ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ط٢، ١٩٢١: ٢.
[٦] ينظر ، حديث الأربعاء : ١/ ٣١.
[٧] شعر الرثاء في العصر الجاهلي ، الشوري : ١٣٠.
[٨] ينظر ، وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي : ٢١.
[٩] ينظر ، فن الشعر ، أرسطو : ٢٥.

الحزن والألم والشكوى والاستصراخ والوعيد والاستنهاض ، بتنوع تفاصيل الواقعة التي حصلت على أرض كربلاء ، وثرائها المفجع ، وربما جمعت أحيانا بين أكثر من واحدة من هذه المشاعر لكن على الرغم من ذلك كله ظل الصوت المتحدث في النص واحدا ؛ إنه صوت الإمام الحسين ، وهكذا نجد أن الشاعر جعل من الصوت المقدس متحدثا وحيدا فقد ظل صوت الأمام أو روحه يقتحم حواس المتلقي على مدى القصيدة كلها ليشركه معه في مجموعة المشاهد المؤثرة جميعا : وصف الجسد بعد مقتله مباشرة ، وصف الجسد وهو موزع الأوصال بين الرماح وثرى كربلاء ، وتصوير روح الحسين وهي تتأمل زينب بنت علي حاملة الرأس ، وتذكر ولده الشهيد ، ومحاورة يزيد وتقريعه وتهديده ، وقد أخذ ذلك حيزا كبيرا من النص ، وقد تستحضر الروح الأماكن الشاخصة التي كانت شاهدا على المأساة ، نهر الفرات (خاصة) ، في عتب ، ولوم وتقريع ، وقد يخيل للقارئ أن هاتفا يحادثه ، يقص عليه ، يستثيره ، يشكو له ، يستنزل دموعه ، يهيج مواجعه .

يأمل الباحث أن يولي الكتاب والدارسين القناع عنايتهم لا سيما في مثل هذه النصوص لما تختزنه من ثراء تخيلي وتوثيق مرحلي للمرحلة التاريخية التي يعيشها الشاعر .

المصادر والمراجع

١. الإبداع في الفن ، قاسم حسين صالح ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١.
٢. أبو الشهداء الحسين بن علي ، عباس محمود العقاد ، انتشارات الشريف الرضي ، إيران ، ط٢ ، د.ت.
٣. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د . عبد القادر فيدوح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٢.
٤. اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، إحسان عباس ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع اليقظة ، الكويت ، ط١، ١٩٧٨.
٥. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، د. علي حداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط١ ، ١٩٨٦.
٦. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٦.
٧. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د . مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤.
٨. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د . مصطفى سويف ، دار المعارف ، مصر ط٣ ، ١٩٦٩ .
٩. أسس النقد الأدبي الحديث ، مارك شورر وآخرون ، ترجمة هيفاء هاشم ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦٩ .
١٠. أسس النقد الأدبي الحديث ، مارك شورر وآخرون ، ترجمة هيفاء هاشم ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦٩.
١١. أعلام العراق الحديث ، باقر أمين الورد ، بغداد ، ط١، ١٩٦٩ .
١٢. الأعمال الشعرية الكاملة ، رشدي العامل ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠ .
١٣. الإمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث ، د. علي حسين يوسف ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
١٤. الإمام الحسين في الشعر العربي المعاصر ، د. أنسية خزعلي ، ترجمة ابراهيم رفاعة ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة ، مشهد ، إيران ، ط١، ١٤٣٢.
١٥. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨ .
١٦. تتمة الأعلام للزركلي ، محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨.
١٧. تجربتي الشّعريّة ، عبد الوهاب البياتي ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط ٣، ١٩٩٣.
١٨. تداخل الفنون في القصيدة العراقية الحديثة ، دراسة في شعر ما بعد الستينيات ، كريم شغيدل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٧.
١٩. تراجيديا كربلاء ، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي ، ابراهيم الحيدري ، دار الساقي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩.
٢٠. التفسير النفسي للأدب ، د . عز الدين إسماعيل ، مكتب غريب ، مصر ، ط٤ ، د . ت .
٢١. حديث الأربعاء ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢.
٢٢. الحسين (ع) في الشعر العراقي المعاصر ١٩٠٠-١٩٨٠، د.حاتم الساعدي ، بغداد ، د.ت .
٢٣. الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧.

٢٤. الديوان ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ط٢، ١٩٢١.
٢٥. رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، د. مخيمر صالح موسى يحيى ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط١ ، د.ت .
٢٦. رثاء الإمام الحسين في الشعر العراقي في العصر الوسيط ، دراسة في الفن ، خالد كاظم حميدي ، دار المتقين ، بيروت ، ط١ ، د.ت .
٢٧. رثاء أهل البيت ع في شعر العصر الاموي ، رقية رستم بور ملكي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
٢٨. الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ، بشرى محمد علي الخطيب ، مطبعة الإدارة المحلية ، بغداد ، ١٩٧٧.
٢٩. الرثاء في الشعر العربي ، العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. عبد الحسين عباس الحلي ، دار القارئ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
٣٠. زهر الآداب ، ابو اسحاق الحصري القيرواني ، تحقيق د. زكي مبارك ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
٣١. سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل أسعد ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤن الثقافية العامة بغداد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة . ١٩٨٤ .
٣٢. سيكولوجية التذوق الفني ، د. مصري عبد الحميد حنورة ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .
٣٣. شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، د. عبدالرشيد عبدالعزيز سالم ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ .
٣٤. شعر الرثاء في العصر الجاهلي ، دراسة فنية ، د. مصطفى عبد الشافي الشوري ، شركة المصرية العالمية للنشر _ لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥ .
٣٥. شعر الرثاء في صدر الاسلام ، دراسة موضوعية فنية ، د. مصطفى عبد الشافي الشوري ، شركة المصرية العالمية للنشر _ لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ . شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، د. عبدالرشيد عبدالعزيز سالم ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢.
٣٦. الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦١.
٣٧. الشعر والمجتمع ، من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث ١٩٧٤، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٤.
٣٨. الشعرية العراقية ، أسئلة ومقترحات للقراءة ، علي حسن الفواز ، دار الينابيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠.
٣٩. الصوت الآخر ، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٩٢.
٤٠. علم الجمال والنقد الحديث ، د. عبد العزيز حمودة ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، ط١، د.ت .
٤١. علم النفس الفني ، د . أبو طالب محمد سعيد ، مطابع التعليم العالي ، الموصل ١٩٩٠.
٤٢. علم النفس والأدب ، د . سامي الدروبي ، دار المعارف ، مصر، ١٩٧١.
٤٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق (أبو علي الحسن عبد الحميد القيرواني ت٤٥٦ هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، مصر ، ١٩٥٢ .
٤٤. عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق د. طه الحاجري ، د. محمد زغلول سلام ، القاهرة ، ١٩٥٦.
٤٥. فن الشعر ، أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١، ١٩٧٣.
٤٦. القصيدة العربية بين النقاد والرواة العرب ، د. عناد غزوان ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٧.
٤٧. القناع في الشعر العربي الحديث ، دراسة في النظرية والتطبيق ، د. سامح الرواشدة ، جامعة مؤتة ، ط١٩٩٥،١مج .
٤٨. القناع في الشعر العربي المعاصر ، عبدالرحمن بسيسو ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١ ، ١٩٩٩.
٤٩. قواعد النقد الأدبي ، لاسل كرومبي ، ترجمة محمد عوض محمد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط٢، ١٩٤٤.
٥٠. كولوردج ، محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف ، مصر (سلسلة نوابغ الفكر العالمي ١٥) ، د.ت.
٥١. لسان العرب ، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ) ، تحقيق عبد علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف مصر ، د . ت .
٥٢. المجمل في فلسفة الفن ، بندتو كروتشه ، ترجمة ، سامي الدروبي ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٧.
٥٣. المدخل الى نظرية النقد النفسي ، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا) ، دراسة شعرية نقدية ، زين الدين المختاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، ١٩٩٨.
٥٤. مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، د. جاسم محمد العبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
٥٥. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣.
٥٦. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ .
٥٧. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤.
٥٨. المعجم المفصل في الادب ، اعداد د. محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ .
٥٩. مكانة القصيدة العربية بين النقاد والرواة العرب ، د. عناد غزوان ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٧.
٦٠. من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، د . محمد خلف الله أحمد ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٠.
٦١. الموجة الصاخبة ، شعر الستينات في العراق ، سامي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤.

٦٢. موسوعة علم النفس ، أسعد رزوق ، مراجعة عبد الله عبد الدايم ، مطابع الشروق ، بيروت ، ط١، ١٩٧٧.
٦٣. النقد الأدبي ، وليم فان أوكونور ، ترجمة صلاح أحمد ابراهيم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠.
٦٤. نقد الشعر في المنظور النفسي ، د . ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .
٦٥. نوافذ الوجدان الثلاث ، دراسة نفسية في شعرية الخطاب الأدبي، د . سعيد يعقوب ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥.
٦٦. واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، قم ، إيران ، ط٢ ، ٢٠٠٨.
٦٧. الوجود والزمان والسرد ، بول ريكور ، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ .
٦٨. وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، د. حياة جاسم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢.
٦٩. ويكون التجاوز ، دراسات نقدية معاصرة في الشعر الحديث ، محمد الجزائري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٤.

المجلات

١. أقنعة الشعر المعاصر، مهيار الدمشقي، د. جابر عصفور، مجلة فصول (مجلة مصرية تهتم بالدراسات النقدية الحداثوية) ، مج١،ع٤- يوليوا ١٩٨١م .
٢. بنيةُ القناع ، علي جعفر العلاق ، مجلّة علامات (مجلة سعودية تهتم بالدراسات الحداثوية)، جزء ٢٥، مجلّد ٧، سبتمبر ١٩٩٧.
٣. جدلية المأساة في (الحر الرياحي)، جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة الموسم (مجلة عراقية تصدر في هولندا) ، ع ١٠٤، السنة ٢٦، ٢٠١٤.
٤. الحسين يكتب قصته الأخيرة (القصيدة موضوع الدراسة) ، رشدي العامل ، مجلة القصب (مجلة عراقية تصدر في بيروت ، رئيس تحريرها الشاعر العراقي مدين الموسوي)، ع١٦، السنة الرابعة ، ١٩٩٩.
٥. قصيدة القناع عند الشاعر المصري أمل دنقل ، د. علي نجفي ايوكي ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، إيران ، ع١٣، ٢٠١٣ .
٦. القناع وقناع الإمام الحسين في شعر عبد الوهاب البياتي ، بهرام أماني جاكلي ورقية سفري ، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر ، جامعة زنجان ، إيران ، العدد ١٢ السنة الثالثة.

شبكة الانترنيت

١. بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة د. خليل الموسى .
٢. رشدي العامل ، الرومانسية تتسربل برداء الحداثة ، فاضل ثامر .
٣. رشدي العامل شاعر رومانسي من عصر الحداثة ، ماجد السامرائي .
٤. الشاعر رشدي العامل في الذكرى العشرين لرحيله ، رحيم الحلو .
٥. القناع في الشعر العربي الحديث ، فوزية الشطي .